سالم مـولى أبي حذيفـة

جاد عبد الرحيم سلام

« لو أدركني أحد رجلين . فجعلت هذا الأمر له ، لوثقت به ، سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح » .

ذلك ما روى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنــــه حين طعنه أبو لؤلؤة . فيروز المجوسي ، وهو يتأهب لصلاة الغـداة في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة .

وللنفس آنئذ أن تتساءل : من يكون ذلك الذي أهلته خلاله النفسية . وسجاياه العقلية وسبقه في الإسلام . وبلاؤه في اعلاء شأنه ورفع صرحه ، حتى يكون أهلا لأن يقدمه المسلمون في الصلاة والقيادة .

من يكون ذلك الذي استحق هـــذه المكرمة حتى يجلس حيث كان يجلس الصديق رضوان الله عليه . وهو . من هو. صحبة وسبقا ، وتفانيا في إعزاز دين الله. وذودا عن حياضه . ومحارمه ؟ .

من يكون ذلك الذي أهلته مواريثه العلمية وسجاياه الخلقية ، لأن يجلس مكان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذي كانت خلافته أنموذجا فريدا في تاريخ القادة والساسة على مختلف أزمانهم وأجناسهم ونحلهم ومعتقداتهم . حاشا رسول الله ﷺ والصديق رضوان الله عليه ؟ .

من ذا الذي يتبوأ هذا الأمر العظيم - والذي لابد لمن يتبوؤه من أن تتوافر فيه شرائط العلم والعدالة ، والكفاية . والسلامة من كل ما يتعارض مع مهام هذا المنصب الكبير ؟ !

إن كان ذلك الرجل أبو عبيدة عامر بن الجراح - أمين هذه الأمة - وأحد الستة أصحاب شورى رسول الله ﷺ ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . وواحد من السابقين الأولين في الإسلام . الذين هاجروا الهجرتين . وصلوا الى القبلتين . وممن أبلوا في الإسلام بلاء ليس بعده بلاء . وممن لا يشق له غبار في زهده وتقشفه وعزوفه عن الدنيا وزخرفها ، وهو إلى ذلك ، واحد من هذا الحي . الذي لا تدين العرب إلا لواحد منهم .

إن كان ذلك الرجل أبو عبيدة . وهذه أوصافه . فلا خلاف بين إثنين على أهليته واستحقاقه لهذا الأمر وجدارته بحمله ، ورضا الكافة من المسلمين به . والاطمئنان إليه .

أما أن يكون ذلك مولى من الموالي ، ليس هو بقرشي ، وليس بعربي ، ثم يتقدم

العرب ويتقدم قريشا . ويتقدم المسلمين من المهاجرين . والأنصار ، ويجلس منهم مجلس القائد من جنده . والراعي من رعيته ، على ما هم عليه كثرة وعراقة وسبقا وسنا ، كعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام . وطلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وسعد بن عبادة .. وغيرهم .

أما أن يأتي عتيق مجهول النسب ، ويجلس من هؤلاء مجلس المعلم والقائد والراعي والإمام يسيرون حيث سار ويقفون حيث وقف ، فذلك الذي يحتاج إلى إماطة اللثام عن أوصافه التي أهلته لأن يتبوأ هذا المكان الذي تتطاول إليه أعناق ذوي السبق والسن ، والمحتد من أصحاب رسول الله ﷺ .

ذلك المولى العتيق هو (سالم مولى أبي حذيفة) ...

وقبل أن نتعرف على سالم هذا ينبغي أولا أن نتعرف على أبي حذيفة مولى سالم.

(أبو حذيفة) هذا ، هو ابن عتبه بن ربيعة وشقيق هند أم معاوية بن أبي سفيان.

أسلم أبو حذيفة في فجر الدعوة الإسلامية ، هاجر الهجرتين ، وصلى إلى القبلتين وشهد مغازي رسول الله ﷺ ، ومات شهيدا في موقعة اليمامة على عهد أبي بكر رضى الله عنه . هو ومولاه سالم رضوان الله عليهما .

نسب سالم : ــ

كل ما عرف لسالم من نسب من أهـل (اصطخر) عتيق ثبيتـــه بنت يعار الأنصارية ، ومولى أبي حذيفة ، هذا هو نسب سالم .

جاء فى الجزء الثالث من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد ما معناه : ــ

« سالم مولى أبي حذيفة من أهل اصطخر .. مولى ثبيته بنت يعار الأنصارية .. وكان زيد بن حارثه معروفا بنسبه ، وكان سالم مولى أبي حذيفة لا يعرف له نسب ، فكان يقال : سالم من الصالحين » .

وجاء في الجزء الرابـــع من كتاب الاصابة في تمييز الصحابة للإمام ابن حجر العسقلاني . ما ملخصه « سالم مولى أبي حذيفـة .. قال البخاري : مولاته امرأة من الأنصار . وهي ثبيته بنت يعـار الأنصارية . كانت زوجة لأبي حذيفـة أعتقتـه (سائبة) أي لا ولاء لأحد عليه فوالي أبا حذيفة ، ثم تبناه أبو حذيفة ، وزوجـه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد ابن عتبه » .

هذا رصيد سالم من النسب .

من أهل اصطخر ، عتيق ، مجهول النسب ، مولى ابي حذيفة ، ومتبنـاه ، زوج فاطمة بنت الوليد ابن عتبة .

تلك هي القسمات العرقية التى لا يملك سالم غيرها .

وعندئذ يرد السؤال الذي لا معدى عنه ، ولا مفر منه :

هل تستطيع تلك القسمات أن ترتفع بصاحبها يتبوأ مكانة أهم شرط من شرائطها آنئذ أن يكون من هذا الحي الذي لا تدين العرب إلا لواحد منهم ؟ !

إن سالما عرى من ذلك لا مراء ، فليس هو بقرشي ، بل ولا عربي ، ولا معروف النسب ، إذن فلابد أن يكون لسالم سمات أخرى تكون عوضا له عن العرق وعن النسب ، حتى يكون أهلا لأن يرشح لهذا الأمر . وحتى يكون موضع رضا من ذوي الأحساب والأعراق .

أجل ، فقد كان لسالم رصيد أعظم من العرق ومن النسب ، كان أحفظ صحابة رسول الله ﷺ للقرآن الكريم ، وكان بأمر من رسول الله ﷺ إماما لكبار المسلمين في الصلاة بقباء قبل أن يقدم إليها رسول الله ﷺ في طريق مهجره من مكة إلى المدينة ، وفيهم عمر بن الخطاب وأبو مسلمه بن عبد الأسد .

وكان إلى ذلك صاحب لواء المهاجرين في أشد وقعات المسلمين ضراوة وأحفلها بالشهداء من حفظة القرآن الكريم ، ظل متمسكا به حتى آخر رمق من حياته .

جاء في الجزء الأول من المصدر السابق ما فحواه : —

« كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المسلمين بقباء قبل أن يقدم عليها رسول الله ﷺ وفيهم عمر بن الخطاب ، وأبو سلمه بن عبد الأسد .. وأن رسول الله ﷺ

قال : خذوا القرآن من أربعة . من عبد الله بن مسعود ــ وأبي بن كعب ــ وسالم مولى أبي حذيفة ــ ومعاذ بن جبل .. وأنه لما كان يوم اليمامة . وانكشف المسلمون . قال سالم مولى أبي حذيفة : ما هكذا كنا نفعل على عهد رسول الله ﷺ ، فحفر لنفسه حفرة ، وقام فيها ، ومعه راية المهاجرين يومئذ . فقاتل حتى قتل ، و « أن عائشة رضى الله عنها احتبست على النبي ﷺ ، فقال : ما حبسك ؟ قالت : سمعت قارئا يقرأ القرآن ، فذكرت من حسن قراءته .. فأخذ رداءه وخرج ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ، فقال له الرسول ﷺ : الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك .

وروى ابن المبارك أن لواء المهاجرين .. أي في موقعة اليمامة .. كان مع سالم مولى أبي حذيفة فقيل له في ذلك . فقال : بئس حامل القرآن أنا (يعني إن فررت) فقطعت يمينه ، فأخذه بيساره ، فقطعت فاعتنقه إلى أن صرع .

هذا بلاء سالم ، وتلك أوصافه : علما وشجاعة وتفانيا في نصرة الحق والدين .

وتاريخ سالم تجسيد لهذه المعاني ومحصلة أمينة لهاتيك الخلال .

فلقد كان رضوان الله عليه من السباقين للمشاركة في كبريات قضايا المسلمين ؛ كان واحدا من أربعة سجل التاريخ أسماءهم في يوم من أهم أيام المسلمين الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية . وهو يوم السقيفة .

حدث أبو ذؤيب الهذلي قال : « بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل ، فأوجس

أهل الحي خيفة عليه . فبت ليلة ثابتة النجوم ، طويلة الأناة ، لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها ، حتى إذا قورب السحر غفوت ، فهتف لي هاتف يقول : —

خطب أجل أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا ... تذري الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا . وركبت ناقتي وسرت .. حتى قدمت المدينة . ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج . فقلت : مه ؟ قالوا قبض رسول الله ﷺ ، فجئت المسجد فأصبته خاليا ، فأتيت رسول الله ﷺ فوجدت بابه مرتجا ، وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة ، فجئت السقيفة فوجدت أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأبا عبيدة وسالما مولى أبي حذيفة ، وجماعة من قريش .

تلك هي المواريث التى أهلت سالما لأن يكون خليفة للمسلمين في رأي عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهي مواريث ، لا جرم ، خصبة غنية من وجهة نظر الإسلام ومقاييسه التى تزن الناس بأقدارهم وأعمالهم ، لا بأحسابهم وأعراقهم .

فسالم . واحد من أربعة في الأئمة الإسلامية إليهم انتهت أمانة القرآن الكريم ، والحفاظ عليه ، وسالم بأمر من رسول الله ﷺ كان إماما في الصلاة لكبار المسلمين . وفيهم عمر بن الخطاب وأبو سلمه المخزومي ، وسالم من القلائل الذين حملوا

لواء الجهاد حتى آخر رمق من حياتهم ، وسالم يوم السقيفة كان رابع أربعة ذكرهم التاريخ بأسمائهم وكنى عن غيرهم .

ولو أننا أخذنا نتفهم مضامين تلك الخلال التى حازها سالم ، لرأينا أن سالماً كان من الجدارة بمكان لخلافة المسلمين لو امتدت به الحياة .

ذلك أن مدلول الأمر في قوله عليه السلام : خذوا القرآن من أربعة ، لا يعني أن يكون هؤلاء الأربعة حافظين للقرآن الكريم ومجودين له وكفى ، ذلك لأن الأمر على إطلاقه (خذوا القرآن) . وإذن فلابد أن يكون مدلول ذلك أن سالماً لكي يؤخذ منه القرآن أن يكون حجة في كل ما تضمنه القرآن من أحكام ومضامين.

حجة فيما اشتمل عليه من فرائض وحدود ، حجة في معرفة المكي منه والمدني ، والحضري والسفري والليلي والنهاري .

حجة فيما نزل منه مفرقا . وما نزل منه منجما . حجـــة في عامه وخاصه ، في ناسخه ومنسوخه في مطلقه ومقيده ، حجة في منطوقه ومفهومه ، حجة في حقيقته ومجازه ، في كناياته وتعريضه ، في قراءاته وآداب تلاوته .

وهذا . لا جرم . ميراث لا يدانيه ميراث .

وسالم ، قد كان من أصحاب الألوية في كبريات المعارك في الإسلام . واللواء في الإسلام ليس بالشيء الذي يأخذه أو يعطاه إنسان أي إنسان ، وإنما كان مفخرة تهفو

إليها نفوس ذوي السبق من المسلمين ، ولا ينالها منهم إلا من أهلته لتلك المفخرة مواقفه وسجاياه .

فسالم إذن من القلة النادرة الذين حازوا الفضل من أطرافه ، ومناحيه .

ذلك أننا لو استعرضنا بعض حملة الألوية على عهد رسول الله ﷺ وصاحبيه من بعده . لبرزت لنا أسماء الأجلاء من الصحابة وذوي المكانة التي فاقت كل مكانة عرفها الناس لعهدهم .

فقد كان أبو بكر صاحب اللواء في غزوة بني المصطلق ، ومصعب بن عمير العبدري في غزوتي بدر وأحد ، والحمزة بن عبد المطلب في بني قينقاع ، وعلي بن أبي طالب في حمراء الأسد ، وبني قريظة وخيبر ، وسعد بن عبادة في الخندق ، وزيد بن حارثه . وعبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبي طالب في مؤته .

أما خالد وعمرو وعكرمة . والمهاجرين أبي أمية ، والعلاء بن الحضرمي ومن على شاكلتهم ، فقد كانوا أصحاب ألوية الردة والفتوحات الإسلامية على عهد الشيخين رضوان الله عليهما .. وفي بعض سرايا رسول الله ﷺ .

ولقد ارتفع اللواء بهؤلاء إلى مكانة بلغوا فيها من السؤدد غايته ومن المجد أقصاه .

وفاز البعض منهم في تلك المعارك بأولى المراتب ، وقضي في ساحة الجهاد والاستشهاد مرضيا عمله مغفورا ذنبه . معروفا مكانه .

وسالم من الذين ارتفع بهم اللواء . وفازوا بأولى المراتب لا عن عفوية ، ولا تلقائية ، وإنما كان استشهادا بلغ في الجود بالنفس نهايته ، وقصاراه .

وسالم إلى ذلك . كان متقشفا زاهـــدا . كل ما تركه من ثروة كان مائتي درهم لاغير ، وما أقلها من تركة تدل على عزوف وتجرد وقناعة تامة .

هذا وجه سالم من خلال أخباره وتاريخه :

واحد من أربعة في الأئمة الإسلامية عنه يؤخذ القرآن الكريم .

واحد من أربعة عرف مكانه في يوم من أكبر أيام الإسلام .

واحد من أصحاب الألوية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

واحد من الذين لم يتركوا نشبا ولا مالا ذا بال .

واحد من الذين وصفوا بأنهم كانوا شديدي الحب لله .

واحد من الذين كانت لهم إمامة المسلمين في الصلاة .

وتلك خلال ــ لا جرم ــ من كان متحليا بها ، وكانت له صفة ذات ، وانعكاس نفس ــ كان خليقا بأن يرشح لأكبر مناصب الأئمة الإسلامية ، وهو منصب الخلافة والإمامة ، وليس هو بعد كل أولئك بحاجة إلى أن يبحث له عن مرشح آخر من عرق أو نسب .